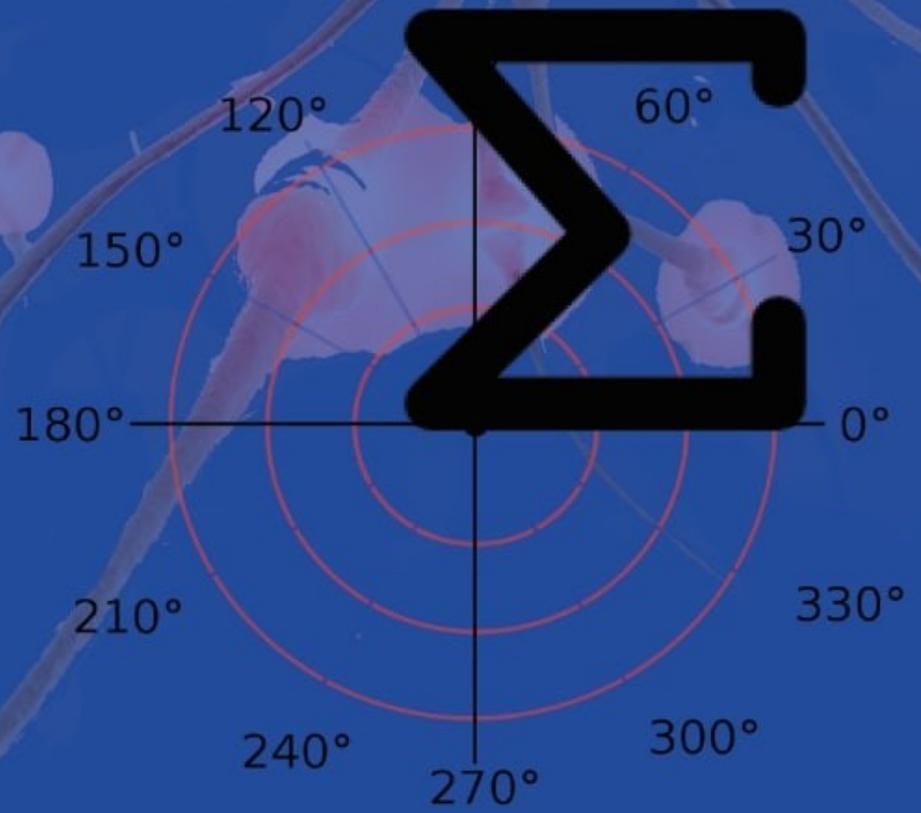


# معادلة في عمق الأعصاب



المؤلف : فارس الشخانية

$\pi$

## تمهيد

في 24 مايو عام 2000، نشر معهد كلاي للرياضيات قائمة بسبع معضلات رياضية سمّيت بمعادلات الألفية.

ووضع المعهد جائزة لمن يحل أي مسألة من المسائل السبع مقدارها مليون دولار، وإلى حد الوقت الذي كتبت فيه هذه الرواية لم يتم برهنة إلا مسألة واحدة من هذه المسائل السبع ورفض صاحب الحل الجائزة!

إنّ حل أي مسألة من هذه المسائل سيدفع البشرية خطوات للأمام

البداية

## من يحلُّ المعادلة يا شباب؟

التفت الدكتور يتصفح الوجوه بمسح شامل عن طريق عينيه من آخر القاعة إلى أولها، كان خفيف شعر الرأس ذو لحية خفيفة وشارب وعينين حادتين يرتدي قميصًا أدخله في بنطاله القماشي

سَرَت حالة من السكون في القاعة بينما كان الدكتور يتفحص الوجوه و ينتظر من يجيب ثم نطق مشجعًا مرة أخرى

يلا شباب هو مجرد تكامل بسيط

لكن كلمات الدكتور المغربية لم تفلح بإقناع أيِّ منَّا بالمجازفة فتخلى الدكتور عن الترغيب ولجأ إلى الترهيب قائلاً

لو ما حد طلع أنا راح أختار.

صمت الدكتور برهة ينتظر نتيجة التهديد بينما عمّ الصمت و أخذنا نراقب عينيه و هو يبحث عن ضحيته المختارة

قرأت سورة يس في سرِّي خلال دقيقة واحدة فقط متأملًا أن يجعل الله على بصره غشاوة فلا يراني

يلا ما حد طلع؟ اطلع حلّ يا لبيب

لعلِّي نسيت آية من السورة من العجلة أو أن عينيه كانتا تبحثان عني منذ البداية نهضت من مقعدي أتصنع الثقة و تناولت قلم اللوح من الدكتور، ناولني القلم و هو يبتسم ابتسامة صفراء

مغزاها أنك لن تستطيع، و ما اخترتك إلا لتكون عبرةً و عظةً لغيرك

حاولت التركيز بكلُّ ما أوتيت من قدرة عقلية بينما تسمّرت فقرات رقبتني و جحظت عيناوي و أنا أتأمل السؤال منتظرًا الإلهام أو نزول الوحي فمن يعلم

قطع لحظات التركيز تلك أصوات همهمة من آخر القاعة، حيث كانت باسقة و قلادة

تبادلان الحديث بخفية

عشر دقائق على السؤال يا لبيب، قاربت المحاضرة على الانتهاء!

إتقان العمل يلزمه الوقت يا دكتور

وهل تخرع قنبلة ذرية، إنه مجرد تكامل بسيط، هات القلم هات

ثم وجه الكلام للجميع قائلاً:

لا نزال في بداية الفصل، ادرسوا بجد إلا إذا كنتم تحبون رؤيتي الفصل القادم أيضًا!

لم أنتبه لبقية المحاضرة إذ عدت لمقعدي مكسورًا وانتبه صديقي البيدق لذلك

همس في أذني قائلاً:

لا تذهب لأي مكان بعد المحاضرة أريد أن أراك!

لم يكد المدرس يقول آخر كلماته حتى هرعْتُ إلى الباب وغرضي الخروج من ميدان الهزيمة  
بأسرع ما يمكن

ونفس عميقُ في الخارج كان له أثر خفيف في تخفيف أثر ما حدث

ألقيت نفسي على الحائط بجانب الباب ويدي خلف ظهري ملتصقتان بالحائط وعيناي صوب  
السقف لا ترغبان في رؤية أحد

لبيب لا تهتم بما فعل الدكتور هو مجرد مريض نفسي .

ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجه قلادة بينما كانت تقول كلماتها ونقلت العدوى لرفيقتها  
باسقة بجانبها فأخذت تبتسم هي الأخرى فبدأت كأختين تتشابه تفاصيلهما فسرحتُ في المشهد  
قليلاً إلى أن قطعه صوت البيدق آخذًا بيدي للخارج  
أخذنا مكانًا في الجامعة في مقعد تحت إحدى الأشجار بينما أخرج البيدق علبة شطرنج صغيرة  
من حقيبته

تلعب؟

هزرتُ راسي بالإيجاب بينما رتب البيدق قطع الرقعة بسرعة كبيرة

كنتُ أنا الأبيض فحركت البيدق أمام القلعة اليمنى مربعين

\_ قبل أن نكمل افتتاحك صعب ولا يتيح لك عديد الخيارات

\_ بصراحة أحب الافتتاح بلا خطة واضحة

لم ألقِ بالألّ للنصيحة، كوني أحب إلقاء نفسي وقطعي وسط المآزق ثم محاولة الخروج من المشكلة بأي طريقة كانت!

حركة هنا وحركة هناك والكثير الكثير من تكسير القطع والخطوات غير المحسوبة وبالفعل وجدت نفسي وسط الرقعة بعد عدة دقائق من اللعب أهرب بملكي المسكين من قطع البيدق

كان قد بقي لي عدة بيادق وأحد الفيلة وكان موقفًا لا أحسد عليه بينما كانت البيدق يبتسم ابتسامة واثقة اتضح معناها سريعًا

كش ملك

ليس بعد .

أخذ ملكي يهرب يمينًا وشمالًا من قدره المحتوم بينما كانت قلعتا البيدق تجوبان الرقعة وتسحقان في طريقهما كل البيادق الباقية ووقف وزيره في مكانه منتظرًا توجيه الضربة القاضية اقتربت اللعبة من النهاية ووقف الملك المسكين وحيدًا يخطو مجبرًا لزاوية الرقعة وسدت عليه جميع مهارب الخروج حتى نطق البيدق معلنًا النهاية

\_كش مات

\_أنا من سمح لك بالفوز لرفع معنوياتك

\_هذه هي المرة الثلاثون على التوالي التي ترفع فيها معنوياتي!

رغم فشلي الذريع في لعبة الشطرنج إلا أنها لطالما استحوذت على اهتمامي وأثارت تفكيري

إذ كيف للعبة أن تختصر حياة الإنسان كاملة في دقائق معدودة أحياناً!

وهل الحياة إلا محض خطوات خاطئة خطونها بلا حساب و لا تخطيط لتتجرع مرارتها أبد الدهر؟

الكاشي

الكاشي عالم الرياضيات الكبير الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي، ولمن لا يعلم فهو مخترع الكسور العشرية، لم يعلم بأنني قد أخذت اسمه لقبًا لصديقي كاشي القرن الواحد والعشرين.

بشعره الأشقر المائل للحمرة وحجمه الضخم قليلًا لم يكن يبدو عليه للوهلة الأولى علامات النبوغ والذكاء، ولكن لا تغرّنكم الأشكال فقد كان أعجوبة في الحساب، واتضح ذلك في تفوقه في المواد والمتطلبات الرياضية المتعلقة بتخصصنا.

كانت الأرقام تتراقص في عقله رقصات سريعة ومتقنة ليخرج الجواب أسرع من لمح العين.

\_ ليس الأمر أكثر من هواية وحب يا لبيب، تستطيع اعتبار الرياضيات إنسانة لا تعطيك إلا بقدر ما تعطيتها ولا تحبك إلا بقدر حبك لها

لم يقنعني كلام الكاشي كثيرًا وبدا ذلك على نظراتي، إذا طالما نظرت للرياضيات نظرة الحب ولكن من طرف واحد!

وكم بحثت في نظرياتها المعقدة وطرقها في تفسير الظواهر الكونية بمعادلاتها الشائكة ووقفت أمامها احترامًا وانبهارًا

\_ وهل حللت هذه المعادلات الشائكة أم قرأت جانبها النظري فقط يا لبيب؟

\_ لم أجرب أيًا منها، أنا أنظر من بعيد محاولًا التفكير بعمق بعيدًا عن الأرقام

\_ لعلها هذه مشكلتك، الأرقام لغة كسائر اللغات من عربية وغيرها، كل ما تحدثت بها وفكرت

بها أكثر انطلق بها لسانك واستقام بها اعوجاجك

كان في كلام الكاشي شيء من المنطق فلم نكد ننهي حديثنا حتى يمت وجهي صوب مكتبة  
الجامعة لعلني أكتشف السر كما اكتشفه الكاشي!

سکون

لستُ أفْضَلُ بعض الأحيان اللجوء للمعلومة الإلكترونية، تحت مبدأ ما تأتي به الرياح تذهب به العواصف، فما تأخذه بسهولة يذهب بسهولة.

وفي زمنٍ مضى كانت القراءة الورقية حياتي وشغلي الشاغل.

لا أحصي كم مرة سهرت مع أستاذي الجاحظ تتباحث البلاغة والأشعار والخطابة.

أو كم مرة جلست مع ابن كثير(صاحب كتاب البداية والنهاية) وسرد علي من تاريخ العرب والمسلمين العجب العجاب.

أذكر أنني وقفتُ مع جموع المسلمين في سهل اليرموك لأسمع خالد وأبا عبيدة يبعثان الحماس في الجند للقتال.

ووقفت على حدود الأندلس لأسمع طارق ابن زياد يقول:البحر من ورائكم والعدو من أمامكم.

حتى إذا مللت من المعارك جلست إلى المتنبي أو جرير وتساجلنا الأشعار وتبادلنا الهجاء أحيانًا.

أو حضرت العمليات الجراحية التي كان يجريها أبو القاسم الزهراوي الجراح الشهير.

أو قمت أساعد الجزري في بناء آلاته الميكانيكية العجيبة!

حتى إذا وصلت بي سفينتي الزمنية إلى العصر الحديث ولأني حظي كان سعيدًا يومًا ما، فقد

حضرت مناظرة آينشتاين وثلة من علماء الفيزياء المؤيدين لمبدأ الشك أو الريبة

وقتها نطق آينشتاين بجملته العبقريّة: الله لا يرمي النرد؛ لأتخذ منها مبدأً لحياتي.

استيقظت من التفكير في الماضي فجأة لأجدني كنتُ سارحًا في "سكون" بلا وعي بينما كانت تقرأ إحدى الروايات الشهيرة

"سكون" كانت هادئة هدوء البحر، لكن خلف ذلك الهدوء عمق يكاد يغرقك من حيث لا تدري

وبدا ذلك باقتباسها المستمر من الروايات بين حواشي الكلام

\_ماذا تقرّأين؟

\_أقرأ رواية في أدب السجون

\_وما الممتع في قراءة معاناة البشر وتعذيبهم

\_أحب شعور الحرية نهاية كل رواية

\_إذا لماذا تقرّأين الرواية كاملة عوضًا عن قراءة بدايتها ونهايتها فقط

\_ليست الفائدة العظمى في النهاية المتوقعة غالبًا، ما بين السجن والحرية حرب ضرورية

يخوضها السجين مع نفسه وفكره محاولًا البقاء حيًّا فكريًا أما الجروح فتشفى وأما الروح

فمردها لخالقها.

ثم تابعت قراءة روايتها وتجاهلتنني فتذكرت سبب مجيئي للمكتبة

معادلة المستحيل!

خطاي المتسارعة قادتني بلا وعي نحو قسم الرياضيات في المكتبة، وعيناي تبحثان بلا هدى عن الكتاب المنشود، وما لفتني هو توافر نسخ عديدة لكل كتاب وتواجدت النسخ بجانب بعضها البعض إلا كتابًا واحدًا!

انفرد ذاك الكتاب بطريقة تجليده اليدوية التي توحى بأنه لم يطبع منه الكثير، كما وعلاه الغبار حتى لتحسب أنه لم يُقرأ منذ أن رقد في ذلك المكان

معادلة المستحيل لمؤلفه فيليب غيرد

العنوان الملفت والفضول دفعاني لتقليب الصفحات ورؤية المحتويات

يا للرياضيات وما يمكن أن تفعل بحياة الإنسان، يقول غيرد في كتابه أن الرياضيات كانت عشقه منذ الطفولة ثم تحولت إلى هوس الشباب وعمل الشيخوخة وأنه لن يندم على ذلك حتى يصعد إلى السماء كما يقول!

أما العشرون عامًا الأخيرة قبل تأليف الكتاب فقد أمضاها في حل بعض المسائل الرياضية المعقدة بطريقة البرهان بالتناقض ولم يضمّن أيًّا من المسائل في الكتاب بشكل غريب

بدا غيرد ساخطًا على استعمال الحوسبة في البرهنة الرياضية مفترضًا أن الآلات مهما بلغت من التطور لن تبلغ

مستوى التفكير الإنساني، وقد بقي وفياً كما يقول للبرهنة التقليدية ولم يتخلى عن الورقة والقلم  
رفيقاه العزيزان متبعاً خطى الأسلاف الرياضيين

أظهر فيليب تدينًا شديدًا خلال وصفه لعلم الرياضيات

”أنه علم إلهي وليس من صنع الإنسان، وما وظيفة الرياضيين سوى محاولة اكتشاف ذلك العلم شيئًا فشيئًا“

كان الكتاب طويلًا والوقت ضيقًا مما دفعني لقراءة آخر صفحات الكتاب التي لخص فيها غيرد رؤيته وتفكيره

كان يوجه حديثه للرياضيين قائلًا: ”لا تجزع إذا لم تصل للحقيقة كاملة، فهي شيء لا يعلمه إلا الإله وكل ما نفعله هو محاولة الوصول إلى جزء من تلك الحقيقة

إن الرياضيات هي طريقتنا لفهم الكون، وخيوطها المتشابكة قد تفوق عدد الذرات فيه، لذلك فالإحاطة بها علمًا أو معرفة جواب لكل سؤال هو محض خيال، حاول الاستمتاع بالأمر أكثر من محاولتك للوصول إلى الحل“

شعرت بشيء من اليأس، فيليب عاش حياته لهذا العلم ولم يحصل على أجوبة فكيف أحصل عليها أنا؟

كانت الساعة لا تزال الثانية بعد الظهر وتغلق المكتبة أبوابها في العاشرة ليلاً

لم يكن نظام التهوية السيء في المكان مشجعًا على التركيز أكثر من تشجيعه على النوم والكسل

وضعت الكتاب أمامي على الطاولة، نسيت الصداع والدوخة التي سرعان ما أتت مع الصداع وبعد 4 ساعات من الجهاد استسلم الوعي و الإدراك ونفدت الطاقة من جسمي وكأنه آله قطع عنها الكهرباء فاستسلم لتلك الغيبوبة المفاجئة!

أندلس

استيقظت من الغيبوبة وإذ بي في طوارئ المستشفى التعليمي على جهاز الأكسجين، وارتفعت أمامي منصة تدلى منها أنبوب الجلوكوز حتى وصل ليدي واخرقها مغذيًا جسدي المنهك بالسوائل الضرورية.

ولم يلبث أن دخل فريق طبي تعليمي للطوارئ لمعاينة الحالات فيهم أخصائي واستشاري وطلبة طب في السنوات العملية كما يبدو عليهم وبعض المقيمين.

مر الفريق على الحالات واحدة واحدة حتى وصل إلي، فكرت وقتها أن أدعي المرض كل ما سنحت لي الفرصة

وما السبب إلا أن أندلس كانت مع الفريق ومعها دفترٌ نيلي تسجل فيه الملاحظات

قال الاستشاري: سلامات يا شب

ثم شرع بشرح ما حدث لي والبقية يستمعون باهتمام، كانت غيبوبة ناتجة عن انخفاض سكر الدم بسبب الإرهاق وقلة الطعام المغذي في الفترة التي عزلت فيها نفسي.

أخذت أسترق النظر لأندلس كل قليل لتلتفت لي، أغمضت عينيها الناعستين في انتباه شديد وعدلت نظاراتها وتجاهلت نظراتي وأخذت تركز على كلام الاستشاري.

\_ هذه آخر حالة اليوم، تستطيعون العودة لمنازلكم، يعطيكم العافية

انفضّ الجميع وبقيت أندلس وقالت معاتبية:

أعلم ما كنتَ تفعل يا كتلة الحمق، لن تصل لما تريد إذا أهلكت نفسك في فترة قصيرة.

\_ ما العمل إذًا، مللت من التوسط والعلامات العادية.

\_ كلنا نحب التمييز يا لبيب، لكنه لن يأتي في ظرف يوم وليلة!

انتبهت أندلس لمعايرة المغذي وخففت من معدل القطرات التي تتساقط

\_ ستتحسن خلال ساعات، سأكون في "كافتيريا" المستشفى، لنا حديث طويل

ثم غادرت بخطوات سريعة متزنة، وأنا أخذني التعب للنوم فعدت للغيبوبة مختارًا هذه المرة

\_ "أمرٌ باسمك إذ أخلو إلى نفسي \*\*\* كما يمرُّ دمشقيٌّ بأندلس"

أخذت أقول البيت وأنا أسحب الكرسي المقابل لأندلس "في الكافيتيريا" منتظرًا ردة فعلها على

البيت

\_ كفى شعراً وكذباً اجلس

قالتها بنظرات جدية مخيفة جعلتني أتسمر في المقعد منتظرًا ماذا ستقول

تذكرت الثانوية فجأة وكيف كان كلانا يحلم بدراسة الطب، أندلس كانت من الأوائل مما أهلها لمقعد طبي، أما أنا فقد ألقى بي غضب الوالدين ومعدلي إلى كلية الهندسة

\_الثانوية ليست مقياسًا يا لبيب، كل ما في الأمر أنك تقفز عن نهج النجاح، تريد أن تتفوق بلا جد، وأن تأتيك العلامات فجأة!

\_ لكنني كنت أبذل المجهود بأقصى ما عندي، كنت أجلس 12 ساعة أحيانًا على المكتب سارحًا في الكتب والمراجع والملخصات

\_ ها قد قلتها، كنت تجلس فقط وتقضي الوقت، أما الكفاءة ففي الحضيض كما أظن

لم أستطع الإنكار، أندلس تقرأ الأفكار من العيون وفيها فراسة لم أعدها في أحد آخر

ثم نظرت في ساعتها وغادرت سريعًا بلا وداع حتى

أما أنا فقد أخذتني فكرة طريفة وأنا أراها تغادر،

إن كان غضب الوالدين في لحظة ما ألقاني في كلية الهندسة فربما دعاؤهما في لحظة أخرى تسبب بمعرفتي باندلس، لا عليكم من أفكاري البائسة، اقلبوا الصفحة سريعًا!

لم أرد أن أبرح مكاني إلى أن تعود لي طاقتي كاملة، لذلك طلبت ما لذ وطاب وأخذت أفكر في خطوتي القادمة وأتلفت في المحيط حولي

كان أحدهم قادمًا من بعيد بخطى متسارعة، ساهم الببال استطعت أن أميزه من بعيد بسهولة كان الشخص هو زميلي وليد غريب الأطوار

ومع اقترابه بدا أنه لم ينتبه لي فقامت بالسعال بشكل مضلل

\_ لبيب، ماذا تفعل هنا

\_ لدي موعد، وأنت؟ سلامات

تردد وليد في الإجابة، ثم نطق: أخي يرقد هنا منذ سنين، يعاني من نقص الصفائح الدموية ويحتاج لنقل الدم بشكل مستمر

ثم نظر إلى ساعته وغادر بخطى سريعة وكأن أحدهم يجري وراءه!

حادثة المختبر

لا أخفيكم، لطالما كنت ساخطًا على نظامنا التعليمي

ذاك الذي يركز على الجانب النظري ويهمل الجانب العملي أو يجعله غير ذا أهمية

أخذتني أحلام اليقظة فترة قصيرة إلى أن أيقظني منها صوت المهندس وهو يأمرنا بالانتباه

أخذ مهندس المختبر يوزع المجموعات بطريقة القرعة وكل اثنين كونا مجموعة لإجراء الاختبارات  
المختلفة

أخذت أدعو في سري أن لا أكون مع الزلق، كررتها عدة مرات في الخفاء إلى أن قاطعني صوت  
المهندس معلنًا أن الزلق هو شريكي

أذكر أنني نمت عن صلاة الفجر ذلك اليوم وصليتها قضاءً، ترى هل عاقبني الله لذلك وألقى  
الزلق في طريقي؟

\_أنت محظوظ يا لبيب، الكل يتمنى أن يكون شريكي

رددت على الزلق هازئًا

\_بالتأكيد لخفة دمك

ابتسم الزلق ابتسامته الصفراء المعتادة ثم قال موضحًا

\_كلا، بل لأنني عملت فنيًا كهربائيًا من قبل وأفهم في الجانب العملي أكثر من المدرسين حتى

\_إذًا ستوصل التجربة اليوم وأنا سأجلس شيخًا

وافق الزلق وبدأ بالتوصيل دون النظر للمخطط وكأنه يحفظه عن ظهر قلب

كان جهد التجربة عاليًا وفيها خطورة، لذلك شعرت ببعض الاطمئنان من قول الزلق

\_سأعطيك شرف توصيل السلك الختامي

ناولني السلك ونظرت أمامي إلى المكان الذي لم توصل فيه أي أسلاك

\_هناك نقطتان، أين أوصل

\_لا فرق

اخترت أحد المكانين وأوصلت السلك فسرى التيار الكهربائي في جسمي كما لو أنه كان ينتظر

الفرصة!

في قرطبة

أين أنا، ما هذا المكان الغريب؟

كان بيتًا يشبه البيوت العربية القديمة التي تبدو في المسلسلات

أما أنا فملقي على السرير أردتي ثيابًا غريبة وبجانبني منضدة فيها بعض القوارير والسوائل

هل أنا في واقع أم حلم، لو كان واقعًا هل دخلت الجنة، فالرائحة جميلة هنا وأشعر براحة غريبة

وما لبث أن دخلت امرأة عربية في يديها بعض الطعام

\_ استيقظت أخيرًا، لقد أنجلك الله بأعجوبة

\_ أين أنا، من أنتِ، ما هذا المكان

\_ اسمي نهاية، وأنت في منزل سيدي الطبيب أبي القاسم الزهراوي

\_ الجراح الشهير؟

\_ هو بعينه، أنت محظوظ لأنه يشرف على علاجك بنفسه

ثم غادرت المكان وتركت في نفسي عديد التساؤلات، تبتًا للزلق

أخذت أنظر للقوارير جانبي، كان معظمها فيه أعشاب مختلفة منقوعة وأحدها فيها سائل أصفر

يبدو أنه اختلط بالدماء

قلت في نفسي: لا بد أن الطب يتطور بالعكس، فالفحوصات القديمة نتائجها فورية

دخل الطبيب أخيرًا، ويا للهيبة والحضور!

زيُّ عربي مهيب، وعمامة فاخرة وتفوح منه رائحة الأعشاب والعطور

قال الطبيب مازحًا

\_ هل ستركب الخيل ثانيةً

\_ أي خيل

\_ التي سقطت من عليها

\_ ومتى حدث ذلك؟

\_ يبدو أن ما أصابك أنساك ما حدث، لقد أحضرك أهالي قرطبة لي بعد أن سقطت من على

فرسك وأصابتك بعض الجروح والكسور، لكن أيًّا منها ليسَ خطيرًا فاحمد الله

متى سقطت وأين ومن أنا؟ ، الله أعلم!

اقترب الطبيب مني وأخذ يجس العلامات الحيوية بطرق لم أعدها

ثم أشار إلى القوارير جانبي:

القارورة الحمراء فيها ما يخفف الألم، والزرقاء للعلاج

أما القارورة البيضاء ففيها...

\_أعلم أيها الحكيم أعلم

\_كنت أود تحذيرك لكي لا تشرب ما فيها

ثم ضحك ضحكةً وقورةً وتركني أستريح

كنت في حالة يرثى لها فلم ألبث أن غطت بنوم عميق!

ولم يوقظني سوى يد تتفقد كسوري وحرارتي ولم تكن سوى يد أبي القاسم الزهراوي

-إنك بخير يا بني لكونهم قد أحضروك لي سريعًا والكسور في يدك لا في ظهرك عافاك الله أو  
أقدامك، إنني ذاهب للبيمارستان لتفقد المرضى وسأعود لك ختام الليل

ثم غادر بخطوات وقورة عجلة

ولم تلبث أن دخلت نهاية وفي يديها بعض الطعام، الذي دخلت رائحته الزكية أنفي، فلم ألبث أن  
انقضت عليه انقضاض الليث مما أثار استغراب نهاية

-حنانيك يا أخاه لا تجلب لنفسك الداء!

لم أكن مركزًا على كلامها أكثر مما ركزت على ما أمامي، كان سمغًا مشويًا بطريقة شهية وطبقًا  
من الحساء يثير جوع الملئ!

ووقت أن حل المساء شعرت بتحسن بسيط مما مكنتني من النهوض وأخذ جولة حول منزل الطبيب الذي كانت تحيط به حديقة بسيطة أضاءها ضوء القمر فغدا المشهد ساحرًا

وبينما أنا غارق في تأملاتي دخل الطبيب الحديقة عائدًا من ”مناوبته“

\_ سأبدل ثيابي ثم سنخرج معًا إلى وليمة لثلة من علماء وأدباء قرطبة فما رأيك؟

وافقت على الفور، فمن تتاح له الفرصة لأخذ جولة في تلك المدينة الساحرة في ذلك العصر ثم يقول لا؟

وما هي إلا مدة قليلة حتى خرج الطبيب مرتديًا حلة فاخرة وعمامة فخمة وبيده أختها فلبستها على رأسي وخرجنا معًا

كانت الطرق نظيفة ومضاءة بقناديل معلقة بدت كنجوم متناثرة على جانبي الطريق المزدهم بالعاشرين مما أبهج نفسي وبعث فيها مشاعر دافئة

أما الطبيب بجانبي فقد كان يتلقى السلام من العديد من المارة ولعل العديد منهم كانوا مرضاه السابقين

وازدهت المدينة بطرازها العمراني الفريد الذي لا تمل من النظر إليه وتأمل تفاصيله وكأن كل  
تفصيلاً قد تم العمل عليها وحدها

\_لقد وصلنا يا أبا العرب وها هو منزل مضيفنا ابن عبد ربه

أشار لي لمنزل ازدحمت عتبة بابه من الداخلين والخارجين وماج بأهله موجاً

وما إن دخلنا حتى استقبلنا ابن عبد ربه بنفسه وأشار لنا بالجلوس في جلسة عربية في صدر  
البيت فيها ثلة من القوم تبدو عليهم آثار الدين والعلم فجلسنا معهم

قال الطبيب معرّفًا بي:

هذا لبيب صديق عزيز لي

ثم قال معرّفًا بالجالسين:

هذا أبو بكر الخوارزمي جاء من بغداد ملبياً الدعوة وهذا ابن زيدون الشاعر الشهير أما هذا فهو  
فهو ابن حزم صاحب كتاب طوق الحمامة

قلت في نفسي، إن الزلق قد كان يحبني حين تسبب بصعقي بالكهرباء!

قال ابن زيدون صادقًا:

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُنْتَقِلًا  
لَا تَخْشَ مِنِّي نِسِيَانًا وَلَا بَدَلًا

وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَدْرِ بَعْدَكَ مَا  
طَعْمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا

أَتَلَفْتَنِي كَلَفًا أَيْلَيْتَنِي أَسْفًا  
قَطَعْتَنِي شَغَفًا أَوْرَثْتَنِي عِلَا

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَا  
بَلَّغْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا

وَاللَّهُ لَا عَلَقْتَ نَفْسِي بغيرِكُمْ  
وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

قلت في نفسي: إنها لفرصة لإظهار موهبتي الشعرية أمام الشاعر الأندلسي الفذ  
فقلت أرد:

أنا الذي بتُّ من بعد الهوى وجلا  
وذقتُ مرًّا وكانت رغبتني عسلا

وكم رجوتُ على كف الركوبِ هوى  
وكابر النفس حتى بات مرتحلا

نفسٌ وقاتلها من كان مأمنها  
لله ما ذنبها ساءلتُ من قتلا

الرشد ثاب فلم أعتب على أحدٍ  
ولم أبالي بما يجني وما فعلا

بدت على ابن زيدون ملامح الإعجاب بشعري فأتبع قائلاً:

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِينِي  
إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِينِي فَيُحْيِينِي

قَدْ مِتُّ إِلَّا ذَمَاءً فِي يَمْسِكُهُ  
أَنْ الْفُؤَادَ بَلُغِيَاهُمْ يَرْجِينِي

مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ  
إِلَّا اعْتِيَادُ أَسَى فِي الْقَلْبِ مَسْجُونِ

صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي  
بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِينِي فَيَشْفِينِي

كَيْفَ إِصْطَبَارِي وَفِي كَانُونَ فَارَقْنِي  
قَلْبِي وَهَاتِحُنْ فِي أَعْقَابِ تِشْرِينِ

فرددت بنفس القافية:

وَارَيْتُ شِعْرِي لَا قَالُوا بِهِ خَوْرٌ  
تَحْتَ الْفُؤَادِ وَفِي الْعَيْنِينَ تَبْيِينِي

فَأَشَقَّقَ الشِّعْرُ مِنْ ضَيْقِ الْمَمِّ بِهِ  
حَتَّى تَدْفُقَ مِنْ بَيْنِ الشَّرَائِينِ

ضَلَّتْ عَنِ الْمَاءِ نَفْسِي مِثْلَ رَاحِلَةٍ  
تَرْجُو النِّجَاةَ فَيَا سَقَاءُ رَوِّينِي

أَوْ شِئْتَ فَاخْتَمْتُ عَلَى خَيْرِ حِكَايَتِنَا  
وَاقْضِ الْحَيَاةَ فَمَا عَادَتْ لِتَرْضِينِي

كان الخوارزمي يتابع المساجلة باهتمام بينما عينا ابن حزم أنبأنا أن في جوفه شيء من الكلام

وفجأة ابتسم ابن حزم وقال معلقًا:

ليس التذلل في الهوى يُستنكرُ

فالحب فيه يخضع المستكبرُ

لا تعجبوا من ذلتي في حالة

قد ذل فيها قبلي المُستبصرُ

وفيما نحن نخوض في الشعر نهض الخوارزمي وقال وهو واقف:

العشرة مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، والعشرة لا تحتمل الحساب  
والصرف

ثم نهض مغادرًا فتبعته سريعًا

خرجت إلى الشارع ورميت عيني يمينًا وشمالًا أبحث عنه إلى أن وجدته قد اتخذ طريقًا فرعيًا

فأخذت بالنداء عليه والتفت يبحث عن مصدر الصوت

-أهلاً بالشاعر الغد، أنت ضيفي الليلة فقد اكرتت منزلاً قريباً أبيت فيه  
-لي الشرف بذلك عالمنا الجليل، أمامك!

لم يكن الخوارزمي كثير الكلام كما كان الزهراوي، كان منقبضاً قليل الكلام ويفضل  
التفكير العميق بينما هو يمشي ولم تغلح محاولاتي في سحب حديث منه إلى أن  
وصلنا إلى المنزل المنشود فنزلنا فيه

أشعل عالمنا الجليل القناديل وجاء ببعض الطعام والحلوى، إذ كيف لنا أن نخوض  
نقاشاً طويلاً على أمعاء خاوية؟

ألقيت نظرة في المكان فرأيت بعض المخطوطات والكتب التي جلبها عالمنا معنا  
ولاحظ نظراتي إليها

-إنني يا بني لا أذهب بمكان بغير أحبائي

-أليس من المشقة يا عالمنا حملها معك لكل مكان

-أي بني، إن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، وليس تأخذه إلا إذا كان  
بمنزلة الطعام والشراب في نفسك، وليس تصل إليه إلا ببذل المشقة وسهر الليل  
وتعب الجسم وسهاد العين وذلك لا يكفي وهناك ما هو أهم من كل هذا

-وما الأهم مما ذكرت، ما هو أكثر من بذل نفسك للعلم؟

-إنك لن تنال العلم ولو بذلت فيه كل وقتك ومالك إلا لو ابتعدت عن معاصي الله  
وتتبع رضاه، فهو "العليم" وهو "الرازق"، فاجتنب معاصيه كي يرزقك من علمه وإلا  
فاترك هذا العلم لأهله!

ثم تناول كتابه "الجبر والمقابلة" وبدأ يتصفحه تحت نور القنديل وناولني كتابًا آخر أقضي به ليلي  
كان دائم الفكرة وكل ما رفع رأسه ألقى إلي بحكمة ثم عاد لكتابه، وكان مما قاله:

إذا كان الإنسان ذا(أخلاق) فهو = ١

وإذا كان الإنسان ذا(جمال) فأضف إلى الواحد صفراً = ١٠

وإذا كان ذا(مال) أيضاً فأضف صفراً آخر = ١٠٠

وإذا كان ذا (حسب ونسب) فأضف صفراً آخر = ١٠٠٠

فإذا ذهب العدد واحد وهو (الأخلاق) ذهبت قيمة الإنسان وبقيت الأصفار التي لا قيمة لها

ثم لاحظ تدني ضوء القنديل المعلق فوقي فنهض ليصب فيه الزيت وفي يده كتاب الجبر والمقابلة

وبينما هو يحاول تعبئة الزيت أوقع الكتاب الثقيل على أم رأسي فخررت صريعاً

ما بين الحلم

والواقع

بدأ نظري المشوش يتضح شيئًا فشيئًا لأرى أمامي خيال شخص ما، فبدأت أنطق بصعوبة

\_هل أنا في بيت الزهراوي من جديد؟

\_من هو الزهراوي؟

-لا بد أنني في البيمارستان العام وسيأتي بعد قليل كي يتفقدني

-أنت في قسم العناية الحثيثة في المشفى التعليمي

\_إدًا فكل ما حدث كان حلمًا، سامحك الله أيها الخوارزمي وكتابتك، كنت أود قضاء مزيد

من الوقت في قرطبة

-مرحبًا بك في الواقع

\_من أنت فلا أستطيع تمييزك

أنا من تهجوها صباحًا ومساءً ثم تطلب ودّها

كانت أندلس بلا شك

-سأدعك تستريح

ثم ولت مغادرة بخطواتها العجولة المعتادة

أما أنا فقد أخذني الندم قليلًا على استيقاظي السريع، كان يمكنني العودة لمجلس

ابن عبد ربه وإكمال تلك الأمسية الشعرية الجميلة!

لم يمض يوم ونيف حتى بدأت أرى بوضوح ما حولي، كنت قد تعرضت لبعض الحروق، وانقبضت عضلات قدمي اليمنى على عظامي فحطمتها، وتدلّت أمامي معلقة بجبيرتها البيضاء، سامحك الله أيها الزلق!

سأكتب فيه قصيدة هجاء لم تسمع بها العرب، أو ربما أدع قبضات يدي تتعامل مع وجهه المستفز، أو س.....

-كيف الصحة يا شاعرنا

كان الكاشي قد دخل المكان وفي يده بعض الحلوى والعصير ومجموعة من الأوراق ثم أتبع قائلاً: لقد لخصت ما فاتك من محاضرات، اقرأها عندما تستريح

إن كان الزلق يستحق قصيدة هجاء صادعة فالكاشي يستحق ديواناً من شعر المديح على ما فعل!

عودة وصدمة!

بات العكاز رفيقي مع الوقت أستعين به في المشي وقضاء الحاجات إلى أن تعود  
عظامي سليمة وكان لا بد لي من العودة للدراسة وتدارك ما فاتني من الفصل

دلفت إلى الجامعة بعد أن تحسنت حالتي وتجاوزت بوابتها الكبيرة على غير هوادة  
ولا هم لي غير رؤية الزلق!

وبينما أنا أقرب من مكانه المعتاد صادفت صديقه الكاشي

-أين الزلق أريد أن أراه

\_إنه منزوٍ تحت شجرة بجانب القسم لكن دعني أخبرك....

لم أدع الكاشي يكمل كلامه وجريت على حسب سرعة عكازي إلى المكان  
المنشود لأجد الزلق فيه

\_هل أضربك بعكازي أم أدع الأمر ليدي أخبرني!

بدا على الزلق ملامح الانكسار ولم يلقي دعاياته كالمعتاد فنال ذلك استغرابي!

-افعل ما تشاء

انخفضت حدة غضبي وقتها لردة فعل الزلق ونظرت إلى ذلك الوجه الذي لطالما  
استفزني بتصرفاته الطائشة لأجده عصفورًا كسير الجناح وقد شحب وجهه واسود  
محيط عينيه

عجبًا فما الذي كسر تلك النفس المرحمة وفعل بها هذا؟

علمت من الكاشي بعد ذلك أن والد الزلق قد توفي وتركه ليعيل العائلة وحده!  
ولم تمض عدة أيام حتى اختفى من الجامعة وأغلق هاتفه ومواقع التواصل ولم نعد  
نسمع أخباره إلا عبر جاره الكاشي!

أسقط علي الكتاب

ثانية!

أحب هذا المدرس جدًا إذ أنه يجب الخروج أحيانًا عن أجواء المحاضرة ليطلعنا على بعض الأبحاث الحديثة التي يقرأها  
لكنني كنت لا أزال في حالة تعب والنوم يغلب عيني فغطت في سبات عميق زميلي ضخم الجثة الذي كان يجلس أمامي أخفاني من المدرس إلى أن انتهت المحاضرة وخرج الجميع  
رفعت رأسي أحاول استيعاب ما حولي وكانت القاعة فارغة ولوح القاعة كتب عليه إحدى المسائل بلا حل  
لا بد أنه واجب منزلي، يا للصداع!

عندما عدت للسكن لم أعلم ما المطلوب، لكن الشاي سيخبرني بالتأكيد! بالمناسبة لطالما اقتنعت أن أفضل صداقة هي بين الشاي والنعناع هل كان قراري الخاص أم أثر علي الرأي الدارج؟، قررت وقتها أن أفكر خارج الصندوق وأن أجرب الصداقة بين الشاي والهيل، ولم أعد للنعناع منذ ذلك الحين

رميت الأوراق أمامي والمعادلة، كان ظاهرها البساطة كما يبدو معادلة من هنا ومعادلة من هناك وإثبات من هنا وإثبات من هناك! هل اخترع رياضيات جديدة أم أن المعادلة بهذا الطول؟ قررت الإكمال وقتها اتباعًا للمثل القائل (قلته أنا) : أوراق أكثر تعني علامات أكثر أنا والأوراق والشاي حتى كانت ليلتنا طويلة جدًا ولم يكن أطول منها سوى الحل الذي خرج معي!

وفي صبيحة اليوم التالي، جمعت أوراقتي فخورًا ويممت وجهي صوب مكتب المدرس، لا لشيء سوى تسليم مبكر والغياب عن المحاضرة القادمة

\_ ما هذا يا لبيب  
\_ الواجب يا دكتور، المعادلة التي كانت على اللوح آخر محاضرة ضحك الدكتور "سليمان" ضحكة طويلة  
\_ أتعلم ما هو الواجب يا لبيب، معادلة ريمان  
\_ معادلة ريمان!، هل أثبت معادلة ريمان أو نقضتها، أنا؟ لبيب؟  
\_ لست متخصصًا يا لبيب وإنما كنت مهتمًا بالأمر بشكل سطحي، لم أطلب حلها لأنه لم يفعل ذلك كبار المختصين!، كنت أتحدث عنها فقط  
واتتني أحلام اليقظة وقتها، المجد العلمي الذي كنت أحلم به، ربما ميدالية فيلدرز، والمليون دولار بالتأكيد!  
\_ ليس بهذه السرعة يا لبيب، عليك عرض الأمر على اختصاصيين، سأعطيك رقم صديقي لتتواصل معه، هو دكتور في الرياضيات وأعلم مني بالأمر!

حملت أوراقى واكتشافى إلى حىث ىعمل د.على صدىق الدىكتور سلىمان  
كان رىسًا لقسم الرىاضىات فى جامعة عرىقة، املتأ مكتبه بشهادات التقدىر بىنما  
شهادته فى الدىكتوراه كانت فوق المكتب أمام الرائى فى إطار فخم  
\_تفضل یا ابنى شو بدىك، ما فى استثنائات للخرىجىن  
\_لستُ خرىجًا دكتور ولا من الجامعة  
\_ماذا ترىد إىذا؟

\_لدىك بعض الأوراق البحتىة أود مناقشتها معك، أنا من طرف د.سلىمان  
تغىرت ملامح الدىكتور على بعد سماعه كلمة سلىمان  
\_حىاك الله أنت والدىكتور سلىمان، تفضل هات بحتىك!

ناولته الأوراق التى أذى تصفحها بسرعة شدىدة، تلك التى أمضىت فىها الوقت  
الطوىل قراها فى دقىقتىن

\_الأمر لىس من اخصاصى الدقىق یا ابنى، سأعطىك رقم صدىقىن لى لتتواصل  
معهما للمساعدة، قل لهما أنك من طرف الدىكتور على

أخذت أوراقى ىائسًا، كلانا ىعلم أنه ردىنى لكى لا ىنفق من مجهوده الكثیر معى،  
بئسًا لتلك الشهادة الكبىرة

كان الیوم فى أوله وكان ىسمح بزىارة أخرى، د.ىحىى الذى ىعمل فى جامعة مرموقة  
أخرى حسب ادعاء على ىحمل شهادة دقىقة فى البحث

تناول الدىكتور ىحىى الأوراق وبدا علیه الاهتمام بما ىقرأ، فاستبشرت خىرًا  
بالمساعدة

\_حكى فاضى یا ابنى، عظماء الرىاضىات لم ىستطىعوا حلها، أنت تستطىع؟  
قلت فى غضب  
\_أنت و الدىكتور على، حرام فىكم الشهادات

ثم خرجت دون أن أسمع رد الجواب ووضعت كل أملى فى الثالث

كان الدىكتور أنور أشد حدة من السابقىن، قلت فى نفسى أنه لا أمل إىذا

\_شوف یا ابنى، لا أحدى فى هذه البلىد ىمكنه مساعدتك فى هذا المستوى من  
الرىاضىات، وأحذرك أن ترى البحث لأى أحدى كان!  
\_لماذا یا دكتور

\_لو كان صحيحًا فأنت ستستهدف كما كل العلماء العرب الذين وقفوا على حافة الإنجاز

\_بسبب معادلة؟

\_نعم يا ابني بسبب معادلة، هل تدرك كمية القوة المكنونة خلف إثبات هكذا معادلة؟ لا لن تدرك ذلك

\_أرعبني كلامك دكتور، ماذا أفعل إذًا

\_عندي يا ابني لا تقلق، عليك التواصل مع صديقين لي درسنا الدكتوراه سويًا،

أحدهما يدعى روبرت ويعمل في أحد جامعات الولايات المتحدة، والآخر اسمه شميدت ويعمل في أحد جامعات ألمانيا، سأتواصل معهما وأوصيهما بك، أثق بهما أكثر من أي أحد في العالم

تنفست الصعداء، لا يزال هناك أمل إذًا بالإثبات ولكن ليس هنا، ليس مكانًا للعلوم بتاتًا أو هكذا حكم عليه أن يكون!

اختلاف عقليات

رغم أن روبرت وشميدت أصدقاء إلا أن شخصيتهما من خلال التراسل كانت مختلفة بشكل واضح وكل منهما ينظر للرياضيات بطريقة مختلفة، لكنهما اتفقا على شيء واحد أن أبقى الأمر بالخفاء إلى أن يتم الإثبات وأرسله لمعهد كلاي، حفاظاً على حرיתי، ولو كنت أرفض العمل مع الدول الكبرى فللمحافظة على حياتي

أما نقطة الاختلاف الجوهرية فهي طريقة العمل، شميدت كألماني كان يحب وينصح بالعمل الجماعي مع فريق موثوق لأن هدفه هو إثبات المعادلات الرياضية ولا يهمه أن تنسب لمن

أما الدكتور روبرت فقد كان معتدًا بنفسه، يحب أن يعمل وحده ليكون الإنجاز باسمه فقط وتلمع شهرته

إذًا هل أعمل وحدي أم مع فريق؟  
لو عملت وحدي فالأمر سيحتاج سنوات من البحث والتجريب ومع مشاغل التخصص والحياة فالقيام بالأمر (الإثبات) وحدي كان ضربًا من الجنون، سأجمع فريقًا كما نصح شميدت وليلمع اسم الجميع!

تجميع الفريق

كانت خطوتي التالية هي محاولة تجميع فريق للعمل معًا

فابتدأت بصديقي البيدق بعد لعبة شطرنج ساخنة

”اعتدت على التفكير ألف مرة قبل أن أحرك أي قطعة، لكن لأجلك يا لبيب فأنا مستعد للتضحية بوزيرى حتى!“

لم أتوقع أقل من هذا الرد من صديقي البيدق الذي وافق على الفور

أما الكاشي فقد وافق لمجرد حبه للرياضيات ورغبته في حل أكبر عدد ممكن من المعضلات الرياضية

فيما اشترط وليد تزويده بمبلغ مالي كل فترة لكي يستعمله في مصاريف علاج أخيه المريض

ولا يخفى عليكم أنني كنت بحاجة لمن يبحث لنا في المصادر والمراجع المختصة ولا أجهز لهذه المهمة من سكون التي دفعها حب المعرفة للموافقة

أما دافع أندلس فقد كان.....

حقيقة فكرت مرتين قبل نقل دافع أندلس إليكم وإليكم دافعها حرفيًا

”لن أدعك تتورط وحدك يا كتلة الحمق في هكذا مشروع، وقد أجري عليكم دراسة ما!“

وانضم فيما بعد للمشروع ”المبرمج“ للتحقق من المعادلات التي نخرج بها عبر برامج المحاكاة الرياضية

وانضم أيضًا ”القرش“ لإيجاد مصادر لتمويل المشروع وهو من عائلة عريقة في التجارة ولا أصلح منه لهكذا مهمة!

وبعدما جمعنا الفريق كان لا بد من إيجاد مكان نعمل فيه بلا إزعاج فما كان لي إلا أن  
طرحت المشكلة على بغداد

كان بغداد زميلة من تخصص آخر يعمل والدها في تربية الحيوانات فعرضت علي  
المساعدة على الفور وكان اقتراحها للمكان غريباً بداية

قالت بغداد أن لدى والدها عدة حظائر دجاج على شكل نجمة وفي الوسط قاعة  
ضخمة كان من المفترض أن تكون مختبراً بيطرياً لفحص الدجاج لكنها لم تستخدم  
ويمكننا استخدامها!

قلت في نفسي: إذا حدث ونجحنا في إخراج أوراق علمية محكمة فسيكون الفضل  
نسبياً لهذه الدجاجات

خطط ثم اعمل

ذائعٌ عن العرب أنهم يعملون بلا تخطيط ولا حساب ويتركون الأمر للحظ والفرعة  
قررنا تغيير هذا النهج وهذه الفكرة بعمل مخطط شامل لا نترك فيه صغيرةً ولا كبيرة

لن نعمل على المعادلة التي حاولت حلها فقط بل سنعمل على اثنتين بجانبها

استقررنا في النهاية على 3 معادلات متضمنة معادلة ليमान وسيعمل على كل منها  
لييب والكاشي والبيدق

واقترحت أندلس من باب التجربة استعمال جهاز يسمى

Tdcs

والذي من المفترض أنه يلبس على الرأس ويزيد من قدرة الدماغ الرياضية بشكل  
مؤقت لكن ليس عليه دراسات مثبتة

على أن تتولى أندلس مراقبة العلامات الأولية الصحية علينا حتى إذا أحست بالخطر  
توقف العمل فوراً وتفصل الكهرباء بزر في يديها موصول بالقاطع الذي يوصل الكهرباء  
للأجهزة

أما ستكون فستتولى المراجع والمصادر وتوثق النتائج وسبق أن ذكرنا مهمة المبرمج  
والقرش

وكلفنا من يتوقف عن العمل بالمراقبة والدوران حول محيط المكان وهو يلبس زي  
العمل فإذا اقترب شخص ما من الحظائر يستفز الدجاجات سريعاً فيتأكد الشخص أن  
لا شيء في الجوار سوى الدجاج

وسنعمل حسب الوقت المتاح على يكون العمل مقسماً على فترات مدة كل منها  
50 دقيقة للمحافظة على التركيز في أقصى درجة والتعافي براحت قصيرة

واتفقنا على حجة موحدة لو تسائل أهلونا عن مكاننا، كنا خارجين للدراسة في أحد  
المكتبات القريبة

ولم يكن من أحد يعلم سرنا سوى بغداد ووالدها الذين أقسما بكتم الأمر حتى  
ينتهي

أمانٌ إذًا، لنبدأ العمل باسم الذي علم بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم.

العدة

أحضرتنا للمختبر 3 أجهزة تي دي سي إس وجهاز حاسوب ذو معالج وكرت شاشة قويين ليستعملهما المبرمج وقمنا بشراء خزانة صغيرة للكتب والمراجع وآلة طباعة لإبقاء جميع الأوراق بعيدة عن العيون ولوحدًا كبيرًا لاستعماله في التخطيط والكتابة أحيانًا والتعاون في الحل

وصندوق إسعافات أولية وعددًا يدوية لفحص العلامات الحيوية وطاولة شطرنج!

كانت الطاولة من طلب البيدق الذي قال أنه سيحتاجها كل فترة لإبقاء تركيزه على أشده

وما إن أصبح المكان جاهزًا حتى عقدنا اجتماعًا صغيرًا داخل المختبر لبحث سبل التمويل للمشروع بحضور القرش، وذلك بعد أن استنفدنا كثيرًا من المال الذي جمعناه في شراء عدد للمختبر

وتتالت الاقتراحات من أن يعمل كل منا عملًا إضافيًا والمساهمة بجزء مما يكسب للمشروع فيما اقترح البعض الآخر العمل بالتجارة وغيرها من الاقتراحات لكن القرش كانت لديه نظرة مختلفة!

قال القرش إنه كان يتناقش مع المبرمج قبل بداية الاجتماع وتوصلا لفكرة تطبيق جوال يمكنها در الدخل على المشروع بشرط تزويدهما بميزانية تسويق كافية وهكذا يمكن للجميع التفرغ للعمل على معادلات كلاي المختارة وترك قضية التمويل للقرش والمبرمج

وضع الجميع ثقته في فكرة القرش كوننا لسنا أعلم منه أساليب جمع المال!

بروتوكول العمل

وما هي إلا أيام حتى بدأ العمل على قدم وساق!  
كان العمل يبدأ بأن تحضر سكون الأوراق البحثية اللازمة وتصور بعض جميع الصفحات  
اللازمة من المراجع الورقية أو الإلكترونية

ثم يجلس البيدق أو الكاشي أو محدثكم على كرسي مريح وسط المختبر ويقوم  
بلبس جهاز ال....، في الحقيقة لقد مللت من كتابة رموزه كل مرة لذلك فلنقم  
بتعريبه

لنسمه "الصاعق" مثلاً

ثم يبدأ من يلبس الصاعق بتصفح المراجع والأوراق وكتابة ما يتوصل إليه من فرضيات  
ونائج ومعادلات

ثم يأتي دور المبرمج في التحقق من الفرضيات عبر برامج المحاكاة الرياضية وإخراج  
النتائج على شكل تقارير تعود كتغذية راجعة لفريق الحساب وإلى أندلس لكي تقوم  
بدراسة جدوى استعمال الصاعق وتحويل النتائج إلى ورقة بحثية

لتعود سكون وتقوم بأرشفة النتائج الرياضية وترتيبها لكي نتابع التقدم ولا نعود  
لنقطة الصفر!

يقولون: إن إثبات خطأ شيء ما أسهل من محاولة إثبات صحته لذلك لجأنا لإثبات النظريات عن طريق إثبات خطأ ما ينقضها

عندما كنا نعمل على أي معادلة نقوم بجمع أكبر عدد من النظريات المناقضة لها ثم نقوم بإعداد فرضيات تثبت خطأ هذه النظريات ومحاولة إثباتها

وأحيانًا كنا نلجأ لمحاولة إثباتها عن طريق تجربة أكبر من المسائل المعروفة جوابها على أحد الفرضيات بافتراض أنها صحيحة ومن ثم نقارن النتائج الناتجة عن حلنا مع الحل المثبت سابقًا

وفي رأيي الشخصي فإن سرعة تطبيق نظرية ما يسرع في عملية إثباتها أو نقضها، وما يؤخر المجتمع العلمي إلا الجري وراء المثالية والعدول عن تطبيق نظرية ما قبل التأكد من صحتها نظريًا بشكل كامل وهذا ما له محاسنه وعيوبه

أما الشيء الآخر الذي يؤخر البشرية برأي فهو المجتمع الصناعي الذي يرفض إخراج تقنية ما للمجتمع قبل سحب أكبر كمية من المال من التقنية التي قبلها

وأجزم أن تكنولوجيا ما بعد 20 عامًا متواجدة في مختبرات الدول الكبرى لكنها تأبى الخروج لأسباب اقتصادية!

سر الذكاء البشري

لم يخلوا عملنا من المشاكل الصحية غير الخطيرة

بعضنا كان يعاني من التحسس بسبب الدجاج مما أجبرنا على استنشاق مزيل  
احتقان كل فترة

والبعض الآخر عانى من الصداع بسبب التركيز الشديد واستهلاك العينين ولم تفتأ  
أندلس تحذرننا من مخاطر إرسال إشارات كهربائية إلى الدماغ فكانت لا تسمح بوضع  
الصاعق إلا عند الضرورة وتحت إشرافها المباشر

ودأبت أندلس على تسجيل ملاحظاتها عنا في دفتر أصفر لم تسمح لأحد بالاطلاع  
عليه

وكانت تجعلنا نتحمس لقراءة ما كتبت عندما تدعي أنها عرفت سر الذكاء البشري!

أذكر أن بغداد قد أهدتنا يومًا بعض الدجاجات فقمنا بإشعال نار بعد انتهاء عمل ذلك  
اليوم وتحلقنا حول النار وقمت بشوي الدجاجات لطاغم العمل، يا لتواضعي الشديد

فقلت لأندلس ممازحًا:

أخبريني بسر الذكاء البشري ولك نصيبي من الشوي

فخطفت من يدي قطعة دجاج ونهشتها بعنف ثم قالت:

هل تريدني أن أخبرك سر الذكاء البشري مقابل قطعة من الدجاج، إن سر الذكاء  
البشري في دفترى الأصفر في الصفحة 125 فلو حدث لي شيء فالدفتر لكم

ثم ضحكت وضحك فؤادي معها كوني لم أرها تضحك منذ دخولها كلية الطب!

جیوب فارغة

انقضى نصف المشروع حسب مخططنا وبقي النصف  
كان إنجازًا كدنا أن نحسد أنفسنا عليه، أو قولوا أننا قمنا بذلك بالفعل

لم يكن القرش يزور منطقة العمل كثيرًا  
كان يرسل بالتمويل إلكترونيًا بطرق مختلفة، ولم يعتمد على التطبيق فقط بل زودناه  
ببعض المال للبدء في تجارة إلكترونية والاستثمار في أكثر من تطبيق خدمي

لذلك كانت زيارته في ذلك اليوم مفاجئة للجميع وكان يحمل أخبارًا غير سارة

السوق يمر في حالة كساد ونقص في السيولة، وما نجنيه من تجارتنا الإلكترونية  
يقل شيئًا فشيئًا

ماذا عن التطبيقات التجارية؟  
إنها المصدر الثانوي وهي لا تزودنا بالكثير

بعد ذلك التحذير من القرش أخذنا بوضع خطة تقشفية لكي يبقى المشروع قيد  
العمل ولكن بوتيرة أبطأ

أزلنا ستائر النوافذ التي تمنع من في الخارج من رؤية ما نفعل، إذ كانت احتياطية  
فنادرًا ما يمر أحد أمام تلك الحظيرة المعزولة، واستعظنا عنها بضوء الشمس للإضاءة

وقللنا ساعات العمل لتقليل صرف الكهرباء أيضًا وتوقفنا عن شراء المراجع الورقية إذ  
أنا جمعنا الكفاية تقريبًا حسب ما تقول سكون

أما مواقع الأبحاث المدفوعة فقد استبدلناها بالمواقع المجانية ولا أعتقد أن التأثير  
كبير وهناك أيضًا بعض المواقع غير القانونية تنشر الأبحاث مجانًا

أما تطبيقات الخدمات فقد حولنا كل منها لنسختين، نسخة مدفوعة فيها الخصائص  
كاملة ونسخة مجانية ناقصة بعض الشيء لندفع من يستعملها للشراء داخل  
التطبيق إذ أن الإعلانات لا تفي بالغرض مطلقًا من حيث الأرباح

ومن يستطيع القدوم للمكان على دراجة هوائية فليقم بذلك ومصاريف المحروقات  
ستوضع في ميزانية المشروع

صادق الجميع على القرارات وآثروا الإكمال حتى النهاية إلى أن يتوقف المشروع!

صديق قديم

كانَ الجو الربيعي المائل للشتوي في تلك الفترة حتى وقت الظهيرة مغريًا للخروج ولعب الرياضة

لذلك كنت أحيانًا أركن السيارة على مسافة بعيدة عن الحظيرة وأذهب منها وأعود هرولة خفيفة أو بالدراجة، ولتقليل مصاريف البنزين أيضًا لا أخفيكم

تناثرت الأشجار يمينًا وشمالًا وربط بينها حقول القمح الخضراء المتناثرة والتربة الحمراء أحيانًا مما شجعني على الهرولة يوميًا لرؤية هذه المناظر الجميلة لكنها لم تكن تنسيني مشكلتنا العنيدة، ألا وهي التمويل الذي خذلنا به القرش أو لعله كساد السوق في تلك الفترة

فكرت في الأمر طويلًا حتى أصبحت أهول دون أن أدرك ما أمامي إلى أن أيقظني من سرحاني صوت سيارة تقف بجانبني على الجانب الآخر أطلق سائقها البوق لإيقافي فوقفت لأرى ما الوضع، كانت سيارة أعلى من المتوسط قليلًا وأقرب للسيارات الفارهة منها للمتوسطة أنزل سائقها النافذة لأرى شابًا يرتدي نظارات شمسية ما لبث أن نادى

\_ليبب، ما أحوالك

\_بخير، ما تعرفنا أستاذ

\_تنساني بهذه السرعة، يا خائن العشرة والتسعة يا لبيب

ثم ضحك بصوت عالي ضحكة مزعجة أعرف صاحبها جيدًا

\_الزلق!! (ناديته باسمه لا الزلق طبعًا)

\_بشحمه ولحمه

\_أين اختفيت ولماذا تركت الجامعة، اشتقنا لك (كنت أكذب من ناحية الاشتياق)

\_سحبنا الحياة يا لبيب، لا داعي لكثرة الكلام تناول هذا المغلف

\_وماذا فيه؟

ناولني المغلف المغلق بإحكام رغمًا عني بطريقة ماكرة ثم غادر بسرعة دون أن

يفسر

كان واضحًا ما فيه من ملمسه لكن آثرت أن أفتحه أمام الجميع من باب الشفافية والمصادقية كما يقول مسؤولونا الأكارم

فور وصولي عقدنا اجتماعًا سريعًا لفتح المغلف الغريب وتعاملت أصوات التوقعات

ربما كانت رسالة ما

\_أعتقد أنه ليس فيه شيء وهي مزحة ثقيلة من الزلق

\_افتح لنرى

فتحت المغلف أمامهم وكما توقعت، كان فيه رزمة مالية ورسالة

" لقد سمعت بالمشروع من مصادري الخاصة ولم أكن لأترك أصدقائي في ضائقة،  
في المغلف 2000 ورقة استعملوها في المشروع وادعوا لوالدي بالرحمة"

ضح المكان بالفرح من الجميع وأطلق أحدهم زغرودة بصوت عالي

أما أنا فقد أخذني الفضول، من أخبر الزلق وكيف تسرب المشروع؟، هذه خيانة

لم يدم فضولي طويلًا إذ اعترف الكاشي أنه أخبر الزلق بكل التفاصيل في ليلة لعبوا  
فيها الورق

\_هل كشفت أسرارنا في ليلة ورق؟  
\_لم تكن ليلة ورق فقط، كان فيها عصير التفاح أيضًا  
\_عصير التفاح ها

تبادلنا النظرات الخبيثة مع الابتسامات الصفراء ونحن نتخيل ماهية عصير التفاح ذاك

\_لا بأس بالخيانة إذاً لو حلت مشكلتنا في التمويل، اشرب كما تشاء

ثم رأيت الجميع ينظر لرزمة المال بنظرات الفرحة أو بالابتسامات الخفيفة إلا واحدًا

كان وليد يرمق الرزمة بنظرات مركزة وكأنه يفكر بعمق في شيء ما، لن أدخل في  
النوايا بالطبع ولكنني سأخذ حذري، إذ كانت نظرات غير مطمئنة أبدًا.

بداية النهاية

شغلت أندلس الكهرباء ووضع وليد الجهاز على رأسه وأخذنا نراقب منتظرين بدء العمل وما حدث تبعًا كان بداية النهاية!  
أضرب وليد عن العمل في صمت ونظر إلينا نظرات الاعتراض  
\_ ما القصة يا وليد لماذا لا تبدأ العمل؟  
\_ عندي عدة أسئلة بدايةً  
\_ ما هي

\_ كم نحتاج من المال لإكمال المشروع للنهاية؟  
\_ ربما 1000

\_ وماذا عن الألف المتبقية؟  
\_ كنت أعلم أن عينه على المال منذ رأيت نظراته تلك لكنني قررت المتابعة لأرى ما يريد تحديدًا  
\_ احتياطية لو احتجنا أي شيء

ثم أفصح وليد عما يريد أخيرًا  
\_ بنك الدم في المستشفى نفذ لديه الدم من فئة أخي، لذلك لم يعد لي خيار سوى شراء المتبرعين أو الدماء حتى من أي مكان، أريد الـ 1000 كاملة أو لن أتابع العمل

رد الكاشي في غضب

\_ هل تريد إيقاف مشروعنا بعد أن اقترب من النهاية؟  
\_ ليس لك علاقة، هذا ما لدي، أعطوني المال أو استبدلوني بغيري الخيار لكم

وضعنا وليد بين نارين، أن نترك أخاه يواجه مصيره المحتوم أو أن ينتظر الفرج من أحد المتبرعين، أو أن ننهي مشروعنا وأحلامنا ونعطيهِ ميزانية المشروع ونحن نعلم أنه سيقف حال نفاذ المال

صمت الجميع برهة يفكرون وشبك وليد يديه في ترقب ينتظر الجواب

\_ لا بأس سنأخذ برأي الجميع، من يوافق على ما يريد وليد فليرفع يديه

نظر وليد للجميع دقيقة ينتظر من يرفع يديه لكن لم يرفع أحد يده

\_ هل هذا جزائي أنني عملت معكم؟ تبًا لكم ولمشروعكم، إن حدث شيء لأخي فسأحرق هذا المكان بمن فيه

ثم غادر وليد المكان وهو يبكي بغضب وحرقة حتى اقترب من باب الخروج والكاشي بجانبه

\_لا نحتاج إليك، كنت عبئًا علينا من البداية

رمى الكاشي بكلماته المسمومة تجاه وليد الذي نظر إليه نظرة تهديدية خاطفة ثم غادر دون أن يشتبك معه، ما فاجأنا جميعًا

لمت الكاشي قائلاً: لم يكن من داعي لكلماتك

\_دعه يذهب، سينتهي المشروع به أو بغيره

ليلة الاقتحام

لم يفتأ وليد يرسل التهديدات بطرق مختلفة منذ أن توفي أخوه  
كان يرسل بعض التهديدات عبر الإيميل وأحيانًا يرمي بعض السكاكين المغطسة  
بدماء الحيوانات أمام منازلنا مع رسائل تهديد ورقية وحتى شهادة وفاة أخيه أخرج  
لها نسخًا عديدة وأصبح يلقيها دلالة أنه لن ينسى

لم توقفنا تهديدات وليد عن العمل لكننا أصبحنا أكثر حذرًا واتفقنا على تغيير مكان  
العمل في أقرب وقت  
ودائمًا ما كنا نكلف أحدهم بالوقوف في حظيرة الدجاج لمراقبة محيط الحظيرة من  
زاوية أوسع من السابق بحيث كان من يتولى المراقبة عندما يشعر بالخطر يقوم  
بإفزاز الدجاج كما أسلفنا فيتناول كل منا مطرقة أو عصا ليدافع لها عن نفسه

لم يطل الوقت كثيرًا  
فبعد يوم أو يومين من الإجراءات الجديدة وبينما كنا وسط العمل سمعنا صوت الدجاج  
الغزع بطريقة لم نعهدها من قبل مع أصوات خطى تكاد تهز الأرض  
اقتحم المراقب والذي كان البيدق في ذلك اليوم مكان العمل في فزع ونفسه  
يتقعقع

لا بد أنه وليد جاء لينفذ انتقامه

صرخ البيدق مفندًا كلامي: قوة أمنية على الباب قادمة لاقتحام المكان  
وما لبث أن دخلت الدورية للمكان في أيديهم الهراوات وبدأوا بتحطيم كل ما تقع  
أعينهم عليه

لن نصمت بالتأكيد ونرى المعدات التي دفعنا عليها مال القلب تحطم أمام أعيننا  
فما كان منا إلا أن حاولنا الدفاع عنها بكل قوة فابتدؤوا بنا ضربًا وتنكيلاً مستغلين  
عددهم الهائل أمامنا  
استمات الجميع في الدفاع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة  
حتى سكون الهادئة استشرست في الدفاع عن نفسها وبدأت كأنها قطة محاصرة  
أبدت مخالبتها للعيان  
أما الكاشي ابن الأزقة المزدحمة فقد أخرج تلك السكين الصغيرة ودافع بها عن  
نفسه متبعًا طريقة الكر والفر  
أخذت أضرب بالهراوة يمينًا وشمالًا باحثًا عن أندلس إلى أن لمحتها تختبئ خلف  
حاسوب العمل الذي يكاد يشتعل حرارة  
اقترب أحد أفراد الدورية من الحاسوب وضربه بالهراوة فانفجر انفجارًا هائلًا في وجه  
أندلس المسكينة...

في محكمة

الجنايات

فتح الشرطي باب العربة وأمرنا بالخروج في لهجة غير ودية بدا أنه مأمور بها وأوقفنا جانب العربة أمام بوابة المحكمة الرئيسية  
شمخت المحكمة ببنائها الحجري وازدحمت بالخلق من محامين ومدعين وغيرهم  
داخليين وخارجين عبر الدرج الواسع الذي يدخل إلى قاعة المحكمة الرئيسية

\_تحرك أنت وهو

نهزنا الشرطي بكلماته فمشينا خلفه وما لبث أن انضم إليه شرطي آخر جاء من داخل المحكمة بغية السيطرة علينا  
وفي لحظة فكرية مباغتة تذكرت أحلامي السابقة ومن معي بإثبات كفاءتنا العلمية للعالم أجمع، والآن نساق لنحاكم كالمجرمين، يا لها من مفارقة

وصلنا أخيراً لقاعة المحاكمة التي ازدحمت بالحضور ووسائل الإعلام العالمية التي ما برحت تنقل قصتنا التي سمع بها العالم

كان مكاننا يسار منصة القاضي وأمامها، وما لبث أن دخل القاضي ومن معه من باب جانبي، يرتدي نظارة ذات طراز قديم ويبدو ضخم الجثة بلا لحية أو شارب كما أنه كان أصلع الرأس سوى بعض الشعر الأشيب على الجانبين

وقف الجميع وقت دخوله ثم جلسوا بعد أن جلس وأعلن بدأ محاكمة المجرمين!  
تنوعت التهم بين إجراء التجارب بلا ترخيص، إلى الإيذاء العمد وغيرها من التهم المتباينة وحتى ما حدث لأندلس اتهمنا به بقلعة الحذر والالتزام بمعدات السلامة

\_أنا أسقط حقي الشخصي وما حدث لأندلس قضاء وقدر

كانت لحظة صادمة نطق فيها والد أندلس مخففاً علينا الحكم النهائي إذ أن عقوبات باقي التهم تتنوع بين الغرامة والسجن لشهور

وبعد صد ورد وحتى تدخل من بعض المؤسسات العلمية الدولية نجح المحامي في استئناف الحكم لشهر لعلنا نجد أدلة نخلص بها أنفسنا، وأن نجري مؤتمراً عالمياً لعرض النتائج، حتى إذا حققت النتائج المرجوة قد يخفف الحكم باعتباره إنجازاً وطنياً

مؤتمر سعيد

وفاجعة حزينة!

كان الوضع الاقتصادي البائس لبلدنا قد ألقى بظلاله على الحركة العلمية فلا دعم ولا تجارب ولا حركة بحثية جدية  
أخذني شعور الفخر بما فعلنا متناسياً ما سيحدث لنا تبعاً  
الفخر بأننا جمعنا كل هؤلاء القامات العلمية في بلدنا الحبيب لعرض ما قد يكون  
إنجازاً علمياً قام به أبناء البلد بسواعد فارغة من الدعم والتمويل

تزامت الكاميرات في كل مكان في القاعة وازدحمت أمامي مايكروفونات وسائل  
الإعلام المختلفة بعد أن اختارني زملاء المشروع للتحدث

هل سأتكلم بالإنجليزية أو غيرها ليفهمني الحضور؟ كلا بالطبع سأتكلم بالعربية  
ويتولى مترجموا القنوات الترجمة للعربية بسماعات وضعها على أذنيه كل من لم  
ينطق العربية وتوزع زملاء المشروع بين الحضور في يد كل منهم ميكروفون عن بعد  
لمن يريد السؤال

صدحتُ فخوراً:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم  
يا أعلام العلوم وقاماته من الدول المختلفة، نرحب بكم أجمل ترحيب

ثم أنشأت أشرح ما أنجزنا بالتفصيل، الأمر الذي أخذ مني ساعة تقريباً واستقبلت  
أسئلة الجمهور التي كانت بعضها ذكياً وبعضها ذكياً بخبت وبعضها أردت رمي سائلها  
بأي شيء أمامي  
كنت أذكي من الجميع، عندما كنت لا أعرف الإجابة وعدت سائلها بالبحث عن  
سؤاله أو ادعيت ضيق الوقت

انتهى المؤتمر وتولى الزملاء توزيع نسخ من البحث على الحضور

إذ جرت العادة أن يتم النقاش في حلول أي مسألة من مسائل معهد كلاي لمدة  
عامين ويجب أن تنال رضا مجتمع الرياضيات العالمي خلال تلك الفترة

انفضت القاعة وبقي الزملاء الذين امتدحوا طريقة الإلقاء  
\_لم أفعل شيئاً، كل الفضل لكم ولعملكم

\_لييب، لبيب، مهندس لبيب

كان ذلك صوت الدكتور بناديني، الذي ما لبث أن امتدح إلقاءي أيضاً  
تجاهلت رد المديح وسألته عن حال أندلس

\_ مستقرة يا ابني مستقرة، الله الشافي  
\_ هل الزيارة مسموحة  
\_ بالتأكيد، أنا عائد إليها الآن إذا كنتم تودون القدوم  
وافقنا بالتأكيد وأخذنا طول الطريق نستذكر أندلس وقصصها الطريفة بغية التخفيف  
على الدكتور  
دق هاتف الدكتور فانقبض قلبي، وضع الدكتور الهاتف على أذنه وامتنع لونه بعد  
دقيقة من المكالمة  
\_ ما الأمر دكتور  
\_ خيرًا خيرًا

نطق بالكلمتين في قلق واضح وزاد من السرعة غير آبه بالأمر متجاوزًا إشارات  
المرور الحمراء، حتى وصل للمشفى  
أخذنا القلق شاعرين بما حدث، ركضنا معه للطابق الذي تتواجد فيه أندلس حتى  
فجعنا بالخبر الصادم  
أندلس كانت تحتضر ونحن في الطريق وفارقت الحياة قبل دقائق من وصولنا!

"يا حبيبتى يا بنتى، يا قلبي يا أندلس"

سيظل يعلق صوت الدكتور في أذني، سيقظ مضجعي ويقلق فكري ويهز ضميري  
طيلة حياتي، أنا السبب ولا أحد غيري

جثا الدكتور على السرير جانب الجثة وانهار باكياً، خرجنا من الغرفة لعلمنا أننا لا  
نستطيع تقديم العون في تلك اللحظة  
كنا في حالة صدمة، وبكى معظمنا في حرقة

\_ اصحى يا بابا، وعدتيني بالتخرج بتقدير امتياز، وعدتيني تتخصصي أعصاب، أين  
وعدك

كانت كلمات الدكتور اليائسة يمكن سماعها من خارج الغرفة بوضوح، وكل كلمة  
نطقها اشتعلت في قلبي نارًا، دخلت أنا الآخر في حالة صدمة ولم أصدق ما أحدث  
لا لا أندلس لن تموت، ستستيقظ بعد قليل لتخبرني بكرهها لأشعاري، أو لتشكو  
من ضغط المواد وظلم الكلية أو ستتجاهلني بكبريائها المعهود ولن أغضب!

استرقت النظر من خلف نافذة غرفة الإنعاش لأرى وجه أندلس المشوه وقد أزيلت  
عنه الأجهزة وانتهت حكاية تلك الطيبة

نظرتُ إليها مستسلمًا للأمر أخيرًا، كأنني أبو عبد الله الصغير ينظر إلى غرناطة  
الضائعة من فوق تلة قريبة مدركًا أنها لن تعود  
أذلك كان اسمها أندلس؟، يا لحكمة الأقدار!

لم تكن الفترة التي تلت فراق أندلس بالهينة، إذ كيف للأرض أن تعيش بغير الشمس  
وكيف لساري الليل أن يهتدي من غير النجوم!

يا غائبًا شَبَبْتُ في النفس غَيْبُهُ  
نارًا من الشوق أذكى جمرها الشَّجْنُ

أغائبَ الوجه إنَّ المِيلَ ساءَ لني  
يأتي بكَ الرِّكْبُ أمْ تأتي بكَ السُّفْنُ

وتفجرت قريحتي بعدها ناظمة في أندلس تخفف عني الحزن أحيانًا وتشعله في  
أحيان أخرى

الدفترا الأصفرا

وفي صباح يوم باكر قبل نهاية الاستئناف بعدة أيام تلقيت اتصالاً من والد أندلس يدعونا فيه جميعاً لزيارة منزله وأخذ ما نريد منه، إذ أنه يعتزم الرحيل ولا يقوى على سيل الذكريات التي يحفل بها المنزل

كان منزل أندلس يقع في ضاحية خارج زحام المدينة، ذو حديقة بسيطة يفصل بينها وبين الشارع باب حديدي أسود وقد بدا من خلفه شجرة نخيل طويلة، وأما ما داخل الحديقة فقد تنوع بين زهور مجد الصباح والجوري الأصفر والأحمر وزهور فم السمكة.

فتح والد أندلس الباب الخارجي وأشار لنا بالدخول عبر الممشى الحجري الأبيض الذي يقود إلى داخل المنزل فتبعناه ببطء ونحن ننظر إلى الزهور التي يبدو أنها أهملت منذ فترة قصيرة

وقف والد أندلس قليلاً متأملاً الزهور معنا بنظرات ساهمة طالت حتى نسي أنه معنا

\_ يبدو أن الزهور لا ترغب بالعيش بعد الآن، يا لهفي عليك يا أندلس!  
\_ البقاء لله دكتور

كتم الدكتور حزنه وتظاهر بالقوة وأشار لنا للدخول للمنزل

لم يبد أنه يريد استضافتنا طويلاً فقد قادنا مباشرة لغرفة أندلس، كانت غرفة بسيطة فيها مكتب دراسي أبيض موضوع بجانب أحد الجدران وقد تم تثبيت رفوف خشبية على الجدار أمام المكتب مباشرة فيها بعض الكتب الطبية والروايات والكتب المتنوعة لفتنا منها كتاب ذو غلاف أصفر

مميز

دق هاتف الطبيب فجأة ولعله أحد المرضى يريد استشارة ما

\_أستاذنكم بالرد،خذوا راحتكم،سأعود بعد قليل

ثم غادر الطبيب الغرفة وهو يرد على المكالمة في ذات الوقت تاركًا إيانا نتأمل محتويات الغرفة  
نطقت سكون وقد لفتها الدفتر الأصفر كما لفتني: دفتر أندلس!،الفضول يقتلني لأعلم ما فيه  
بدت علي نظرات الاعتراض على كشف محتوياته، ثم قلت مسممًا اعتراضي:قد يكون فيه أسرار  
خاصة يلزم أن تدفن مع صاحبها

\_قلتها يا لبيب،صاحبة الدفتر ماتت ولا يضرها معرفة المحتويات

نطق البيدق بذلك موافقًا لسكون وبدا أنني المعارض الوحيد وسط تأييد الجميع

\_لا بأس لنرى ما فيه

تناولت سكون الدفتر وبدأت تقرأ بشكل مسموع:

وكلُّ قَصِيدٍ على بَحْرِهِ

وَأَنْتَ على النَّظْمِ بَحْرِي الْفَرِيدُ

ولو لآمَنِي في بُحُورِي الْخَلِيلُ

لَأَشْعُرْتُ فِيكَ بِبَحْرِي الْمَزِيدُ

أبياتي التي أهديتها أندلس كانت في أول صفحة، آخٍ منك يا أندلس!

لطالما أقنعتني أنها تمقت الشعر خاصةً إن كتب فيها، ولم تكن تتفاعل كثيرًا مع إلقائي  
للشعر؛لذلك علنتني نظرات الدهشة والاستغراب ممزوجة بشعور الفخر، فلو كانت شدة إنكار أمرٍ  
ما(كحبها لشعري) تعني إثباته أحيانًا فلعلها كانت تهوى أشعاري دون أن تصرّح بذلك

أخذت سكون بعدها تقلب الصفحات وتقرأ حرفًا حرفًا، كان تسجيل أندلس لكل صغيرة وكبيرة مدهشًا وكأنها باحثة أكاديمية أمضت سنوات طويلة بالبحث والاستقصاء لا طالبةً في بداية السنة الرابعة

لا أخفي عليكم، مع تقدم القراءة شعرت أننا كنا فئران تجاربها غالب الوقت وما أدهشنا هو سبب اختفاء رعشة الكهرباء أحيانًا أثناء العمل، كانت أندلس من تفصل الكهرباء بحركة سريعة خفية ثم تقيس العامل النفسي وتأثيره على المقدرة العقلية! مدهش صحيح، لم نحتج للكهرباء في محاولتنا لحل كل تلك المسائل الصعبة، كانت القدرة موجودة داخلنا ولم يوقظها سوى الوهم الذي صدقناه بلا وعي!

في سري كنت أنتظر الوصول للصفحة 125 ولعل الجميع كان لديه نفس الشوق إذ لطالما رددت أندلس كلمتها الشهيرة: سر الذكاء البشري في الصفحة 125 في دفتر النيلي أخذنا نقرب شيئًا فشيئًا من الصفحة المنشودة وآثرنا العد بحماس سوية واختصار الصفحات المتبقية

أخذنا بالعد بصوت واحد:

121

122

123

124

126

نظرنا لبعضنا باستغراب ثم غلبنا الضحك جميعًا،

كانت الصفحة 125 قد تمزقت